

من الأدب الهندي الحديث

خرج ولم يعد!

للأديبة خديجة مستور

أن الدعاء له أثره، فالدعاء يذيب حتى الحجر، لكن غضبه وصل إلى درجة أنه بدلا من الدعاء صار يلقي بالأحجار على رأسه.

كان حين يرى أهل الحي يلعبون مع أطفالهم وصغارهم يندفع إليهم، يداعبهم ويحتضنهم ويقبلهم، ثم فجأة ينزلهم من على صدره وكأنه يسقط شيئا على الأرض.

إن محبته الشديدة للأطفال جعلته يفض من الدنيا وما فيها، وفي يوم من الأيام،

ويظل يدعو الله أن ينور بيتها المظلم ببهجة البنين، لكن دعاءه لم يتحقق!! كان أهل الحي يحاولون إفهام رفيق بعد أن شاهدوا يأسه ويؤسه



ترجمة د. سمير عبد الحميد - اليابان

ماذا عساها تفعل، إنها وحيدة. هل تلقي على رأسها بالحجارة حتى تنجو مما يحيط بها من مصائب؟! ظلت تخير نفسها بين الحياة التمسعة التي تحياها وبين وجودها.. لكن كان هناك ثلاثة أحياء آخرين معلقين في رقبتها.. وكان رفيق يقول: إنها سواء ذهبت هنا أو هناك فإن حبة، أخرى لم تتفتق بعد ستنضم إلى العقد المعلق في رقبتها!

كان رفيق في عز شبابه يكبت مشاعره مع زوجته

وبينما كان يمضي في الحوار ي غاضبا، وكان الأطفال الذين يلعبون يثيرون فيه مكامن الغضب، إذا بزواجه تقبل عليه وهي تضع طرف «طرحتها» في فمها، وتخبره على استحياء بأن الله استجاب لدعائه.

غمره السرور بعد أن اقتنع بأثر الدعاء.. لكن حين ظهر أثر دعائه الثاني في العام التالي ظل يقفز ويقفز فرحا كأنه طفل، وخر ساجدا شاكرا لله على استجابته لدعائه، ووصل به الفرح إلى درجة أنه لم يكن يلقي بالأحواله المتدهورة.. لم يدرك أيضا بأنه مع تقدم العمر تتعب أرجل الإنسان وتتهك قواه، كما أن تربية هؤلاء الصغار تحتاج إلى فترة من الزمن، وهذه الفترة من الزمن كفيفة بإفتاء «زكائب» الروبيات.

حين كان في زمن شبابه كان يعمل ويكد، فجمع هو وزوجه ثروة طيبة، تعينهم اليوم على الإنفاق، نظرا لأنهم يفتقدون الحصول على دخل ثابت هذه الأيام، ورغم أن مبلغ مدخراتهم كان يكشفهم إذا ما عاشوا حياة معقولة، لمدة سنة، لكن تدبير الزوجة واقتصادها في الطعام والتنفقات الأخرى مد في عمر هذا المبلغ المدخر، فكانت تتحمل في صمت كل أنواع المصائب، دون أن تخبر زوجها بشيء البتة، وفي النهاية لم يخف عليها كيف كان زوجها يحاول

السعي في طلب الرزق، لكن مما يوزع على الناس من الصدقات ومن أهل الخير، فقد كانت تعرف أيضا أن زوجها يعاني من وجع المفاصل، لهذا لم تكن تتحدث إليه أبدا، لكن ماذا عساها تفعل الآن.. لقد بلغ السيل مداه.

لقد ظلت تعجن الدقيق وتخبز الخبز لتطعم الأفواه الجائعة، وتملا البطون الفارغة، وحين أخبرت زوجها بأن شيئا ما لم يعد موجودا في البيت، اضطرب رفيق.. وغرق في التفكير، وتراءت له سحب سوداء تحولت إلى ظلمة داكنة، ظهر له من خلالها صور وأشكال لنساء قبيحات مشاكسات يتراقصن أمامه.

حين خرج من باب كوخه المصنوع من القش، وجد نفسه وسط الدخان المنبعث من حرق قرص روث البهائم الجافة في الأكواخ المحيطة..

بدأت الآلام المكبوتة تتبعث من صدره.. ماذا عساه يفعل الآن؟ ظل يحرك في يأس ناظريه هنا وهناك، في هذه المنطقة المملوءة بالأكواخ المصنوعة من القش كان كثير من الناس يعرفونه جيدا لكن أحدا منهم لم تكن تربطه به علاقة صداقة، ثم إنه حتى اليوم لم يمد يده لأحد، لهذا لم تطاوعه نفسه في أن يطلب من أي متجر أو بقالة دقيقا أو أرزا على الحساب!

كان هناك أحد البقالين ربطته به معرفة خاصة، بسبب قيامه صباح كل يوم بالجلوس أمام دكانه فيقرأ له الصحيفة اليومية بلفة مكسرة، كان البقال نفسه لا يعرف القراءة، لكنه كان يشتري الصحيفة كل صباح، فقد كان شغوفًا بالاطلاع على أخبار الحوادث مثل الخطف والقتل والشجار وأسعار المنتجات في الأسواق، وكان يقوم بشكل خاص بالترحيب بكل من يطالع له مثل هذه الأخبار، وكثيرا ما كان يصيبه اليأس حين يشتري الصحيفة ولا يجد من يقرأها له.

وكان رفيق يحب أيضا قراءة الأخبار لهذا انعقدت بينه وبين الشيخ صداقة من نوع خاص.. لكن في هذا الوقت بالذات، وبالمصادفة، كان دكان البقال مغلقا، والافريق كان على يقين من أنه سيقترض بعض ما يريد من دكان البقال، فالبقال لن يرفض أن يقرضه القليل جدا من دكانه العامر بالبضائع، فقد كان يساعد البقال أيضا في أعماله البسيطة بالإضافة إلى قراءة الصحيفة اليومية.. وهكذا وقف رفيق وبدأ الانتظار على أمل أن يفتح البقال دكانه.

وفي العاشرة صباحا جاء البقال ليفتح الدكان متأبطا الصحيفة المطوية كالعادة، ثم أمسك بالصحيفة



ظل يتجول لعدة ساعات، يعاني ألم الجوع، وبعد البحث عن عمل، عرف جيداً أن إطعام أولاده صار أمراً عسيراً عليه، والحصول على الحلوى والفاكهة صار أمراً صعب المنال.. لقد وجد عملاً في سوق الخضار بعد بحث طويل، توفر أجراً زهيداً لا يزيد على اثنتي عشرة «آنة»، يتطلب منه العمل أن يقطع مسافة نصف ميل حاملاً صندوقاً مملوئاً بالخضراوات، يجلبه من سوق الخضار إلى أحد الدكاكين.. حين وصل حاملاً آخر صندوق شعر أن رأسه مثل قرن الثور الذي يحمل الكرة الأرضية، وحين يتعب يضعها على القرن الثاني، عندها يحدث الزلزال في ركن من أركان الدنيا!! أدرك رفيق أنه لو تقاعس وأنزل الصندوق من على كتفه فلن يناله سوى الجوع والدموع، أما الثور فله قرنان، حين يتعب أحدهما يستبدل به الآخر، ورفيق له رأس واحد وفي جميع الأحوال عليه أن يستمر في رفع هذا الحمل...

وصل إلى البيت بعد أن أعطى البقال الاثنتي عشرة «آنة»، كان الألم يعترضه من داخله، فبعد هذا العمل الشاق الطويل لم يستطع أن يحضر لأولاده قطعة حلوى يمضغونها، أو «مصاصة» يمصون حلاوتها! كان مضطراً إلى البقاء في البيت، قبع في صحن البيت مكسور الخاطر،

البقال يربط كيس الدقيق خاطب رفيق بلهجة ممزوجة بالتحذير قاتلاً: إن دكانه هذا كان صغير وهو لا يستطيع أن يعطي أحداً على الحساب لعدة أيام..

تركت هذه الكلمات أثرها في نفس رفيق وأثارت غيخته، وهزت من كبريائه، لكن ماذا كان يمكنه

وجلس على كرسيه الخاص بأرجله الأربع غير المستوية، وكان إذا ما جلس واستوى عليه وتحرك قليلاً، ظن كأن زلزالاً يحركه!

بدأ رفيق قراءة الصحيفة، دون أن يشعر برغبة في ذلك، ظل أكثر من مرة يخطئ نطق الكلمات فيعيد هجاءها من جديد.. وفي النهاية وبعد



أن يفعل؟! كيف يمكن أن يرى أولاده يعانون ألم الجوع؟ وكيف يمكنه أن يسمح بأن تقلت اللآلئ الحقيقية من يده وتسقط في الماء!!

دخل إلى البيت، وألقى على زوجته السلام، ودفع كيس الدقيق إليها، وخرج دون أن يسمع منها كلمة واحدة..

الفرغ من القراءة طأطأ رأسه وجلس صامتاً، بينما بدأ البقال يعيد ترتيب دكانه، ويراجع حساباته، وبعد قليل أفصح رفيق عن طلبه.. في البداية تلثم البقال دون أن يجيبه، لكن حين أكد له رفيق أنه سيعيد القرض في المساء، وزن البقال رطلين من الدقيق ورابع رطل من العدس.. وبينما كان

متمددا على أريكة بدت كأنها معلقة فوق الأرض. أدرك ولداه أن هذا كان أول يوم غاب فيه والدهما عن البيت طوال اليوم. لهذا شرعا في الصباح فرحا وسرورا بمقدمه. وأخذا يصعدان وينزلان فوق بطنه وعلى ركبتيه. ثم أخذا يصدران صوت طقطقة. يطلبان من أبيهما أن يلعب معهما «لعبة الحصان» لكن الأب لم يكن مستعدا لأن يضعهما على ظهره، ويدور بهما في صحن البيت، ومع هذا صار يقلد فقط صهيل الفرس حتى يدخل السرور على قلب ولديه. وحين بدأ الولدان يظهران عدم الرضا حاول أن يفهمهما أن الحصان صار عجوزا. والحصان العجوز بحاجة إلى الراحة. ففضبا وتركاه. واتشغلا بالنظر إلى السماء في صمت حيث كانت أسراب لا تحصى من الطيور تفرد أجنحتها محلقة على ارتفاع شاهق.

ربما كانت زوجته قد فهمت كل شيء.. نهضت دون أن تسأله عن شيء وبدأت توقد النار. بينما كان رفيق مشغولا بتدليك قدميه ببطء. وفي صمت.. فعمل اليوم الشاق أعاد إلى مفاصله الآلام القديمة.

حين رقد في فراشه ليلا. أخذ يمرر يده على رأس طفليه النائمين بجواره. وأخذ يتمتم بصوت غير مسموع:

غدا سأحضر لهما قطع الحلوى. سأحضر لهما مصاصة. سأحضر لهما الحليب والقشدة و... لا.. لن أحضر الحليب والقشدة.. ثم ففر فاه في حركة مفاجئة. وأغلق عينيه..

لم يتمكن من الاستغراق في النوم بسبب الآلام الشديدة في مفاصله. لكن حين بدأت زوجته تدلك له قدميه ورجليه ببطء. غرق على الفور في نوم عميق.

في الصباح أخذ من البقال الدقيق والعدس على الحساب. وقد أعطاه البقال اليوم هذه المؤونة بوجه بشوش.. لعله اطمأن. فرفيق لن يماطل في سداد ما عليه من دين. وهذا ما حدث. فبعد أن أدى رفيق عمله. ونقل صناديق الخضار من السوق إلى المحلات. نال أجره رويية. فأعطى البقال حسابه. ثم اشترى لولديه قطع الحلوى التي يتلذذ الأطفال عادة بمضغها أو مصها.

وعاد إلى البيت.. لقد نقل اليوم كمية أكبر من الصناديق. لهذا يشعر بألم شديد في مفاصله. ورغم هذا كان يشعر بسرور غريب وهو يناول ولديه الحلوى. ويسلم زوجته ما تبقى من أجره.. لم يلق أي اعتبار لما أصابه من تعب أو ألم. جعل من نفسه حصانا. ركب الطفلان ظهره. ولم يسمحا له بالسير دون سماع صوت

الطقطقة. وبعد قليل أنزلهما من على ظهره مما أثار غضبهما معا. وهكذا مضت الأمور على نفس النسق.. يخرج رفيق في الصباح الباكر. ليصل إلى البقال. فيقرأ عليه أخبار الخطف والسرقة والشجار والاضطرابات. ثم يحمل الدقيق والعدس إلى البيت. ثم ينطلق بعدها إلى سوق الخضار. وهو ينقل الآن ستة صناديق دون اعتبار لطاقته الجسدية. وحرارة الظهيرة الحارقة. فلم يكن يستطيع أن ينال أي قسط من الراحة في بيته.

لم يستمر هذا الحال أكثر من أسبوعين أو ثلاثة. فقد أصيب رفيق بالحمى الشديدة مما اضطره للبقاء في السرير لعدة أسابيع. وفي أيام مرضه ظل البقال يأتيه في البيت بالدقيق والعدس. والأعشاب الطبية أيضا. كل هذا على الحساب! أما دواء الحكيم فكان يدفعه من المبلغ الذي كان يعطيه لزوجته لتدخره. وإلا فالحكيم لا شأن له بأمور السلف. أو العلاج على الحساب. فكيف يحصل على حقه؟ ثم إن الحكيم يعمل في العيادة حيث ينزل عليه المرضى كالمطر. والحكيم عادة يقول:

أحضر الحقنة. فأنا أعالجك. أتراني أفتح صندوقا لجمع التبرعات لشراء كفنك!



أنه سوف يعيش بالتأكد عاطلا طوال حياته.. حين كان يذهب إلى دكان البقال ليقرأ الصحيفة كان يشعر بدوار شديد بينما يعاوده ألم المفاصل الشديد، فيعود إلى البيت ويرقد في الفراش، مخفيا وجهه عن الأنظار، ثم ينظر إلى ولديه، وتسيطر عليه فكرة الخراب الذي سيحل ببيته، فينخرط في البكاء.

كان من الضروري جدا أن يؤدي واجب الذهاب يوميا إلى دكان البقال حتى يطمئن البقال إلى أنه سيؤدي ما عليه من دين، وكان إذا ما فكر في أن يرسل ولده مكانه يخشى أن يغضب البقال، فرفيق بالنسبة للبقال مثل قدر السمن بالنسبة للبخيل، فسواء أكل منه أم لم يأكل، فهو مطمئن لوجود القدر على الرف، وهكذا كان البقال مطمئنا فيما يتعلق بالدين الواجب على رفيق، بينما كان رفيق يرى في هذا الاطمئنان دليلا على صداقة البقال الحميمة وكرمه، لكنه حين ذكر ذلك للبقال، مشيرا إلى أن الدين زاد عن الحد، أخبره البقال أنه لا يهتم بأمر الدين، ففي الوقت المناسب، وإذا اضطرت الحاجة إلى طلبه، وجب على رفيق أن يسلم البقال أرض بيته، هذا هو مفهوم «الصديق عند الضيق».

يستطيع من خلالها أن يحمل شيئا، ومع هذا ظل يظن أن حالته ستتحسن خلال عشرة أيام، فيذهب إلى سوق الخضار. لو كان شابا لعادت إليه طاقته، ولما احتاج إلى وقت طويل حتى يسترجع قوته، لكن تقدم العمر، والطعام المتواضع الذي يتناوله، بعد أن يقترضه من البقال جعله يدرك

كان عند رفيق الحقن اللازمة للعلاج، وهكذا تحسنت صحته، لكن الدين الواجب سداده للبقال كان دينا ثقيلا.. كان رفيق يرتعد كلما تذكر هذا الدين، وظل طوال الوقت بعد قيامه من السرير يفكر فيما سيفعل لسداد هذا الدين، فلا تزال ركبته تعانيان من ورم خفيف، ووصلت حالته من الضعف درجة لا



والآن ومنذ ذلك اليوم الذي كشف فيه البقال عن مفهوم كرمه، وظهر على حقيقته ورفيق يشعر في كل وقت أن لباسه أيضا يتمزق، وأن زوجته تجلس في الشارع ينظر إليها الناس باحتقار، بينما أطفاله يهرعون إلى حضن أمهم يختبئون بعد سماعهم نباح الكلاب!

صباح اليوم حين اضطر رفيق إلى الذهاب إلى دكان البقال، لإحضار الدقيق والعدس، وبينما كان يطالع الصحيفة تسمرت عيناه على إعلان: «خرج ولم يعد!» تضمن الإعلان وعدا بتقديم مبلغ خمسمائة روبية مكافأة لمن يدل على الطفل الغائب الذي خرج من بيته ولم يعد.

بدأ يفكر لو أنه وجد طفلا ضائعا من أهله، فإن جميع متاعبه ستنتهي، وسوف يستعيد ذكرياته الطيبة، ويتخذ أيضا بيته الذي يطعم فيه البقال، ويستعيد قوته، ويطعم أولاده ألبان الأظعمة، كما أنه سيصير قادرا على العمل، فالخبز الجاف لا يمنحه الطاقة والقدرة على العمل.. ليته يجد طفل أسرة غنية جدا، فصاحب الإعلان ذكر أن الطفل التائه من أسرة فقيرة، ولهذا لا تستطيع أن تدفع مكافأة أكثر من خمسمائة روبية.. لو وجد طفل أسرة غنية، فكم ستكون المكافأة، ألا يمكن للرجل الفني أن يقدم أي شيء من أجل ولده؟!

رجع رفيق إلى البيت وذكر لزوجته - كأنه يذبح لها سرا دفينا - حكاية المكافأة، وطلب منها أن تدعو الله كثيرا حتى يوفقه في العثور على طفل تائه.. لكن هل الطفل التائه يصل إليه هكذا وهو جالس في بيته؟! هكذا فكر، ثم نهض ومضى يدور في الحواري والشوارع الفسيحة، وكان كلما شعر بالدوار أو بألم في مفاصله جلس في مكان ما يلتقط أنفاسه، كان يحلق في كل طفل لعله يكون قد ضل طريقه إلى بيته، ويحلق في وجه كل طفل لعله يرى على وجهه أمارات الحيرة أو القلق!!

كان كلما شاهد طفلا وحيدا يبكي، يتجه إليه، لكن قبل أن يبادره بالحديث يجده قد دخل في أحد البيوت، أو جاء من يحمله على كتفه، فيصبيه اليأس، وهو ينظر ناحية الطفل متهدا.. ومع هذا ظل الأمل يراوده، فطبيعة الأطفال شريرة، ولعل طفلا يخرج من بيته وحيدا فيمضي بعيدا ويتوه في الحواري فيكون صيدا ثميناً.

واليوم بينما كان يمضي في شارع واسع بحثا عن طفل تائه، جذب انتباهه جلبه وضوء ناحية إحدى «الفل» ربما كان حفل زواج، كانت الاستعدادات لإقامة سرادق للحفل تجري أمام (الفيلا) وكانت موائد الطعام تجهز وتوضع حولها كراسي

المدعويين، بينما كانت الموسيقى تعزف، والأطفال الذي ارتدوا ملابس ثمينة فضفاضة يجرون هنا وهناك.. توقف رفيق عند بوابة «(الفيلا)» وبدأ يفكر حين يتزوج أولاده، هل ستعزف لهم الموسيقى في حفل زواجهم؟! وهل سيوزع «الشربات» والحلوى، وهل سيصنع للعروس فستان زفاف غاليا وطرحه طويلة تجرجر من خلفها؟! وبينما كانت هذه الأفكار تموج بداخله تذكر فجأة البقال الذي قفز على خاطره كأنه عذريت، فارتعدت مفاصله، وانهمرت الدموع من عينيه..

لم يكد يجفف دموعه حتى شاهد طفلين صغيرين يجريان خارجين من بوابة (الفيلا)، كان الطفل الأكبر يمسك بيد طفلة أصغر منه، بدأ الطفلان في الشجار، فأتجه رفيق ناحيتهما بسرعة وحاول أن يصلح بينهما، أمسك بالطفل، لكنه تمكن من الفرار، بينما حمل رفيق الطفلة الصغيرة التي كانت تبكي، ووضعها على صدره محاولا تهدئتها وهو يربت على ظهرها:

ما اسمك يا صغيرة؟
هكذا سألها رفيق بعد أن رفع رأسها عن صدره.

ت.. ت.. ت.. هكذا تمتد الطفلة بحروف لم يستطع رفيق أن يفهم منها شيئا!



وبينما كان يربت على صدرها بحنان، راودته فكرة! ماذا لو سرق هذه الطفلة؟ لكن السرقة حرام! هكذا أنبه ضميره الخير، لكن عفريت البقال تغلب على نزعة الخير بداخله..

اضطرب رفيق وأخذ يتلفت حوله كاللصوص، شعر كأن عيون أي قادم في الشارع مصوبة ناحيته، وأن أي قادم يعرف نيته، لكن حين مضى الناس، وخلا الطريق منهم اتجه رفيق بسرعة حاملا الطفلة على صدره إلى حارة جانبية، ومنها إلى حارة أخرى، وظل يمضي في الحوار المتداخلة إلى أن وصل إلى بيته.. كانت الطفلة غارقة في نوم عميق، عند وصوله إلى البيت اندفعت الزوجة ناحيته كأنها طفلة صغيرة..

أهذه طفلة تائهة؟ أين وجدتها؟ يبدو أنها من أسرة ثرية!

نعم تائهة، ابنة رجل غني جدا، لم يشأ أن يخبر زوجته بحقيقة الأمر، فقال:

هيا.. أعدي لها فراشا، اجعليها تنام في هدوء، وجهي المروحة ناحيتها..

نطق بهذه العبارات في سعادة غامرة..

اندفعت الزوجة تحضر وسادة، ثم حملت الطفلة من حضن زوجها، وضممتها للحظات إلى صدرها، ثم

وضعتها بهدوء على الفراش، ووجهت إليها المروحة.. ووقف الزوجان يتطلعان معا إلى ملابس الطفلة الزاهية.

- سوف أشتري لكما ملابس جديدة وأحذية جديدة أيضا.

نطق رفيق بهذه العبارة، وهو يمسك بقدمي ابنيه، يضغط عليهما، يدلّكهما في حنان، ثم قال لزوجته:

عليك البقاء بجوار الطفلة، لا تتحركي، حتى لا تخاف الطفلة إذا ما نهضت ووجدت نفسها وحيدة، سوف أدبر أمر طعامها وشرابها، علينا أن نطعمها طعاما طيبا..

ثم خرج مسرعا.

طلب من البقال خمس روبيات، فنظر البقال ناحية بيت رفيق نظرة لها معنى، ثم أعطاه المبلغ فورا، فالبقال منذ مدة يقيم مع زوجته وأولاده في بيت بالإيجار، لهذا لم يرفض أن يعطي رفيقا ما طلب طعاما في الاستيلاء على بيت رفيق.

اشترى رفيق الحليب والأرز وغير ذلك من لوازم «المهلبية»، وفي الساعة الثانية عشرة أشعلت الزوجة النار وأسرعت تعد المهلبية، وحين انتهت اندفع رفيق إلى السوق فاشترى قليلا من الحلوى، وفي تلك الأثناء استيقظت الطفلة، وبدأت تبكي، عندئذ وضع الحلوى في فمها فسكتت

لفترة، ثم بدأت تبكي، وهي تنظر إلى الجميع نظرات شك وريبة، حين أكلت الحلوى حملها رفيق على صدره وبدأ يصدر نغمات عجيبة حتى يسكتها، ثم خاطب ولديه قائلاً:

هيا.. صفقوا بكل قوة.

عندئذ سكنت الطفلة، لكنها عادت للبكاء حين توقف التصفيق، عندها وضع رفيق طبق المهلبية أمامها فسكتت، ثم بدأت في التهام الطبق بسرعة غريبة، بينما كان رفيق يجلس بجوارها يتطلع إليها في حب، لكن رفيق انتبه حين وجد أولاده واقفين في صمت، فقال لزوجته:

ألم تقدمي المهلبية للأولاد.. قدمي لهم المهلبية.

ثم صمت فجأة، فنهضت زوجته مبتسمة، وقدمت لولديها نصيبهما من المهلبية.. توقفت الطفلة عن البكاء بعد أن التهمت المهلبية لكن العجيب أن طابع المسكن بدا واضحا على وجهها.

هل تشعرين بالجوع يا بنيتي؟ انظري كيف تجلس في هدوء!

خاطب رفيق زوجته بسرور.

نعم لكن ما أدرانا أن هذه الفتاة الثرية قد أعجبتها المهلبية؟ هيه يا صغيرتي.. هل أعجبتك المهلبية؟

هزت الطفلة رأسها بالإيجاب، ما اسم أبيك؟



سألتها زوجة رفيق.

با.. با..

هكذا تمتت الطفلة بحروف
متقطعة ب.. ب با، فانفجر رفيق
وزوجته في الضحك.

ماذا يعمل أبوك؟

حاول رفيق أن يربط على كفتيها..
وكانها يستنطقها الجواب

با.. با.. أوه! با.. با.. م..اء أولا
ثم نسمع «اللاديو» ثم «هلوى» با..
با..

سمع رفيق الطفلة تتمتم بمثل
هذه الكلمات فانفجر ضاحكا وهو
يقول:

هذا شأن الأغنياء في هذه الدنيا،
ينهضون من الفراش فيأكلون،
ويجلسون ثم يأكلون، والخلصة
أنهم يأكلون وهم نيام، ويأكلون وهم
مستيقظون!

نظر رفيق إلى زوجته وهو يوجه
إليها كلامه ثم انفجر مقهقهة.

اليوم يشعر بألم عادي في
مفاصله، لكنه كان مسرورا، فإذا كان
قد فقد الثروة من قبل فإنه حاصل
عليها لا محالة.

هل تلعبين لعبة «الحصان»؟

سأل رفيق الطفلة، فظهر السرور
على وجهها فجأة، وهكذا وبناء على
رغبة الطفلة، نهض رفيق ووضع ذيل
ردائه في فمه، وحمل الطفلة على
ظهره، وبدأ يدور بها في صحن البيت،

بينما كانت تقهقه بصوت عال، وحين
أصابه التعب أنزل الطفلة بينما
ظهرت علامات الورم على ركبتيه.
لا بأس.. لا بأس! لا أشعر حتى
بأدنى تعب.

قال هذا وهو يشاهد علامات
القلق على وجه زوجته..

ظلت الطفلة فيما بعد تلعب
مسرورة، لكنها بدأت تبكي فجأة
مع حلول الظلام، فقامت زوجة
رفيق بإطعامها بالقوة قطعة من
«البسبوسة» وحملتها إلى صدرها،
وظلت تهدد عليها لفترة طويلة،
لكنها لم تكن لتسكت إلا حين أعيأها
البكاء، ونال منها التعب مبلغه.

فغلبها النعاس.. ومع نوم الطفلة خيم
السكون على البيت كله، بينما كان
ولدا رفيق يحاولان فهم ما حدث،
وقد جلسا يوجهان المروحة إلى
الطفلة النائمة حتى لا تشعر بحرارة
الجو فتستيقظ، فمن يدري كيف
تعيش هذه الفتاة في بيتها الفاخر..
أما رفيق فكان يدور حول الطفلة لا
يقر له قرار بأي حال من الأحوال..
لوناك مكافأة تصل إلى ألف
روبية فإن جميع مشاكله ستنتهي!
هكذا بدأ رفيق يتحدث مع زوجته..
ثم سألتها:

كم يوما تكفينا ألف روبية؟
يمكننا أن نعيش لمدة خمس



أسرعت زوجة رفيق، فأعدت للطفلة طعام الإفطار ثم أعطتها حماما دافئا، ومشطت شعرها، ثم قدمت لها ما أعدته من الطعام وهيأتها للخروج.. خرج رفيق من البيت، وأجلس الطفلة على عربة «حظطور» ثم سلم الحوذي العنوان، وطلب منه أن يمر أولا على محل لعب الأطفال، وحين توقفت العربة عند محل لعب الأطفال نزل رفيق واشترى مجموعة من اللعب، كلفته عشر روبيات.. حين شاهدت الطفلة اللعب، ظهرت علامات الفرح على وجهها وأمسكت بذيل ثوبها، ووضعت مجموعة اللعب في حجرها، وانحنى عليها كأنها تخشى من يسلبها إحداها..

شد الحوذي لجام فرسه فتوقفت العربة أمام (الفيلا).. ففر رفيق فاه.. بينما ظلت عيناه مثبتتين على «(الفيلا)».. يا لها من «فيلا».. بدت كأنها سفينة تتف وسط الماء.. أخذت رجلاه ترتعشان من شدة الفرح، حمل الطفلة بصعوبة، وأنزلها من العربة، بينما الطفلة تحاول أن تخلص نفسها منه، بعد أن شاهدت المكان الذي اعتادت أن تعيش فيه.. لم يكدر رفيق يقطع المسافة داخل حديقة (الفيلا) حتى استجمعت الطفلة كامل طاقتها وقلت من حضنه، وجرت بسرعة

النوم؟! قضى الليل ساهرا، وفي الصباح وجد نفسه واقفا أمام دكان البقال.. كان الدكان مغلقا، لهذا اضطر إلى الانتظار حتى جاء البقال متأبطا كالعادة الصحيفة.. أخذ رفيق يطالع بسرعة غير عادية العناوين الرئيسية، كان الإعلان عن الأطفال التائهين في الصفحة الأخيرة، كانت أوصاف الطفلة مذكورة في أحد الإعلانات ومعها العنوان كاملا.. جاء في الإعلان أيضا أن من يجدها سيمنح مكافأة تسره... تسارعت دقات قلب رفيق من الفرح..

أعاد الصحيفة إلى البقال، وهو يطلب منه أن يقرضه خمس عشرة روبية، فتسمر البقال في البداية لكنه لم ينطق بكلمة.. أخذ رفيق المبلغ، وأسرع إلى البيت، فأخبر زوجته هامسا بأن الإعلان عن الطفلة ظهر في الصحيفة، فسألته زوجته متحرقة لمعرفة الجواب:

كم مبلغ المكافأة؟

جاء في الإعلان أن من يجدها سيحصل على مكافأة تسره.

تطلع رفيق ناحية السماء، ورفع كلتا يديه وهو يقول:

يا الله! أدخل السرور على قلبها..

وبعد الدعاء أغلق عينيه بطريقة عجيبة، فسقطت دمعان من عينيه، سالتا على خديه.

أو ست سنوات إذا ما أكلنا الخبز والمخلل!

هكذا أجابت الزوجة بعد أن فكرت قليلا، ثم بدأت تخاطبه بصوت منخفض:

الأولاد الآن بلغوا عامهم الثامن أو التاسع، وسوف يشتد عودهم ويريحونك، فلن تكون لديك قدرة على العمل فيما بعد..

نعم.. نعم.. لم لا؟

ثم اقترب من زوجته وقال لها: موسم الشتاء على الأبواب، يجب علينا أن نصلح من حال بيتنا، لوللنا مكافأة أكبر، أعدنا بناءه.

نعم.. ضروري، يجب أن نحافظ على البيت فسوف يتزوج فيه ولدانا في يوم من الأيام...

إذن أخبري عامل البناء حتى يبدأ العمل في إصلاح البيت من الصباح، فالبقال واضع عينيه على بيتنا هذا.. أه هذا الخبيث ستحرقه نيران الغيرة!

سأخبر العامل صباحا..

لا.. بل الآن.. سوف أطلب منه الآن أن يقوم بإصلاح البيت.. هذا البقال الخبيث..!

نهض رفيق وهو يضغط على قدميه.. ثم خرج من البيت..

ذهب وأخبر عامل البناء، ثم عاد وركب في فراشه صامتا، يحاول أن يستجلب النوم، لكن كيف يأتيه

الآن يقف رفيق أما سعادة
الباشا، وسط غرفة يعجز عن وصف
ما بها من أثاث فاخر، لم يسمع عنه
في حكايات أمراء ألف ليلة وليلة، ولا
في حكايات الحور..

نظر الباشا إلى رفيق من أعلى
إلى أسفل، فشعر رفيق بالأسى لأنه
لم يهتم بملابسه، وتأسف لأنه لم
يطلب من زوجته أن تغسلها، لبيته
فعل ذلك، ما كان ينبغي له أن يأتي
إلى بيوت الناس «الذوات» هكذا
بملابس قذرة.

أنت الذي أحضرت الطفلة؟
نعم يا سيدي، فقد وجدتها تبكي
في الشارع.

نحن مسرورون منك، لقد أديت
لنا خدمة طيبة، ذهبت الفتاة مع
زوجتنا لحضور حفل زواج، وهناك
خرجت إلى الشارع....

سيدي.. أنا...
قاطع رفيق الباشا بصوت متهدج
من الفرح.. لكن الباشا قال:
إن والد الطفلة فقد وعيه
بالأمس حزنا وخوفا عليها، وهو
رئيس الطهارة عندنا، لهذا واجهنا
صعوبة في ترتيب أمر الطعام.. لقد
أديت لنا خدمة طيبة.. هذه مكافأة
لك..

وضع الباشا «خمس روبيات»
في يد رفيق، ثم اختفى خلف ستائر
الغرفة!!



وهي تصدر أصواتا عجيبة من شدة
الفرح، جرى رفيق خلفها ليمسك
بها، لكن سيارة كبيرة فضمة دلفت
من بوابة (الفيلا)، فتوقف رفيق، أما
الطفلة فكانت مثل «فص ملح ذاب»،
غابت عن الأنظار داخل (الفيلا)..
تأسف رفيق كثيرا لأنه لم يستطع أن
يحمل الطفلة وهي محملة باللعب إلى
والدها الباشا، فانتظر عند السلالم
المؤدية إلى مدخل (الفيلا).

لم تكد تمضي لحظات على
جلوسه حتى جاءه رجل يرتدي
لباسا أبيض من رأسه إلى أسفل

قدميه، سأله:
هل أنت الذي أحضرت
«تهمينه»؟
نعم يا سعادة الباشا..
هكذا أجاب رفيق، فضحك
الرجل قائلا:
سعادة الباشا يطلبك، تفضل..
أنا خادم الباشا..
حسنا.. حسنا يا أخي.
هيا.. أسرع!

هكذا بادره الرجل غاضبا وقد
رأه يبطئ في الوقوف، فتمالك رفيق
نفسه بصعوبة شديدة.